مرثية أندلسية مجهولة

مرثيات ضائعة :

البعد عن الوطن يثير الشجى دائماً ، ويهيج الذكريات ، وأمل المرء أن يعود يوما إلى البلد الذى شب فيه ، وسط أشخاص أعزاء عليه ، وأشياء حبيبة إلى نفسه ، يخفف عادة من حسرات المهاجر وآلامه ، أو الراحل إلى آفاق بعيدة . وتصبح الحسرة أكثر إيلاما كلما كان هذا الأمل أشد استحالة ، أوضاع إلى الأبد .

وليس ثمة شك فى أن المصير الذى كان ينتظر مسلمى الأندلس حين وجدوا أنفسهم جماعات خارج بيوتهم وربوعهم ، وقد أكرهوا على ترك ديارهم ، قد أذرف دموع آلاف التعساء ، وأثار مشاعر الشعراء . غير أن صدى النبرات الخالدة لبعضهم ، وزفرات الآخرين ، لم يصلنا منها إلا القليل .

ضاعت مثلا مرثية شعرية كتبها **موريسكى مجهول** ، فى النصف الأول من القرن السادس عشر ، أرسلها إلى شمال أفريقيا ، وحملها من يدعى داود ، ومعها رسالة ، ويطالب فيها العون والمساعدة ، ولكن الإسبان اعتقلوا داود فى الطريق ، وأخذوا الأوراق التى معه ، ومنها المرثية والرسالة ، وأرسلها المركيز مونديخر Mondéjar إلى الملك ، النص العربى وترجمة له . ولا أدرى أين استقر النص العربى ، ولكن **مرمول كربخال** Marmol Carvajal أورد ترجمة لها فى كتابه : « ثورة الموريسكيين Rebelion de los Moriscos » ، وعنه نقلها **فون شاك** فى كتابه « شعر العرب وفنهم فى إسبانيا وصقلية » ، وقد ترجمت الكتاب إلى اللغة العربية ، ونشرت المجلد الثالث

منه وهو الخاص بالفن ، بعنوان : « **فن العرب فى إسبانيا وصقلية** »(١) ، ووردت فيه المرثية كاملة هناك ، وترجمتها نثرا بداهة وأحاول جاهدا أن أعثر على نصها العربى .

ومنها هذه المرثية التى بين أيدنيا ، وكانت مجهولة حتى وقت قريب ، وإليك تاريخها كاملا .

● تاريخ المرثية :

كان الباحث الجزائرى الدكتور **محمد صوالح** أول من وقعت عينه على مخطوطة هذه المرثية ، فى مطلع هذا القرن ، فنشرها فى « المجلة الأفريقية Revue Africaine» عام ١٩١٤ ، ثم ترجمها إلى اللغة الفرنسية ، وقدم لها بترجمة فرنسية أيضا ، ولم يهتد إلى قائلها ، فحاول أن يُشرك معه بقية أدباء العالم العربى فى شمال أفريقيا ، وبعضا من المستشرقين . فكتب إليهم فى الجزائر وتلمسان وفاس والرباط وتونس وإسبانيا ، يطلب العون منهم فى التعرف إلى قائلها ، لكن أحدا منهم لم يقدم له جوابا شافيا ، ونشر أحد أصدقائه ، مجاملة له ، الأسئلة التى طرحها عليه ، ومعها أبيات من القصيدة ، فى مجلة الزهراء التى تصدر باللغة العربية فى تونس . وطلب إلى العلماء والقراء أن يوافوه بكل مايمكن أن يكون فى حوزتهم من معلومات مفيدة ، غير أن نداءه بقى دون صدى . وماليثت الحرب العالمية الأولى أن اندلعت ، وأصاب كل الناس ويلاتها ، وشغلتهم عن العلم والثقافة ، وتمخضت نهايتا عن عالم جديد ، مختلف تماما عما سبقها ، وصمت الدكتور صوالح ، لسبب لاأعلمه ، ونُسيت القضية تماما .

وبعد ذلك بثلاثة وعشرين عاما أرسل الأديب المغربى **عبد الرحمن حجى**

---

(١) صدر عن دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠ .

القصيدة إلى مجلة الرسالة فنشرتها فى عددها رقم ١٣١ ، السنة الرابعة ، بتاريخ ١١ من شوال ١٣٥٤ — ٦ من يناير ١٩٣٦ ، الصفحات ٢٢ — ٢٤ .
وقد م لها بهذه الفقرة :

« . . . قصيدة بليغة من الأدب الأندلسى الرائع ، تصف أحسن وصف المأساة الأندلسية ، لم نعثر على قائلها ، وقد طبعها لأول مرة على مايظهر الأستاذ الدكتور صوالح محمد بالجزائر سنة ١٩١٤ مع ترجمة فرنسية ، وبعض تعليقات بالفرنسية ، ذكر فيها أن هذه القصيدة من جملة قصائد بعثت إلى السلطان **بايزيد العثمانى** بقصد الاستغاثة . وأشار إلى أن صحيفة **الزهرة** التونسية نشرت نتفا منها منذ سنوات ، وطلبت من الأدباء أن يعلنوا عن صاحبها إذا عرفوه ، ولكن لم يجب الصحيفة أحد ، فبقى مجهولا ، وقد عرضتها على المؤرخ المغربى الكبير السيد **محمدبن على الدكالى** السلوى ، فذكر لى أن صاحبها كما يفهم من القصيدة من مدينة المرية ، ولعله أبوجعفر بن خاتمة . وقد تكون مذكورة فى كتاب له يسمى مزية المرية الموجود منه نسخة خطية بمكتبة الإسكوريال . ولقد أحببت أن أرسل إليكم نصها لكى تنشروه فى مجلتكم الحافلة ، إذا راقكم ، لعل بين المشتغلين بالأدب الأندلسى من له معرفة بقائلها » .

ومن الواضح أن هذه معلومات تجاوزها الزمن ، وتحتاج إلى إعادة تحرير ، ومن المؤكد أن الأستاذ **حجى** ، وكتبها فى شبابه ، لو عاد إليها الآن لأصلح منها ، ولكتبها على نحو آخر . وأول مايقع فى الخاطر تعقيبا عليها . أننا لانعرف من المقدمة ماإذا كان النص الذى أرسله إلى الرسالة نقلا عما نشره **الدكتور صوالح** ، أم أنه عثر عليه فى مخطوطة أخرى لم يشر إليها . وإن كنت أرجح أنه حصل عليها من مخطوطة أخرى ، لأن مخطوطة الجزائر ، وقد رأيتها عبثت بها الإرضة أحيانا ، حتى ليستحيل ملء الفراغ الذى تركته وراءها . كذلك فإن بعض القضايا تحتاج إلى إعادة تحرير ، لأن عددا من الناشرين غير

الباحثين يقعون على هذا النص . فيأخذون كل ماورد فيه على أنه قضية مسلمة ، ينطلقون منها . ويبنون عليها نتائج تجيء خاطئة بالضرورة . فالدكتور صوالح لم ينشر القصيدة مستقلة وإنما نشرها فى مجلة تصدر باللغة الفرنسية ، وصحيفة الزهرة لم تنشر ما نشرت بدافع ذاتى منها . أو لأنها وقعت على القصيدة فى كتاب أو مخطوطة . وإنما كان نشرها بطلب من الدكتور صوالح نفسه ، لعله يجد معينا يسهم معه فى الوصول إلى صاحبها ، ولم يذكر فى بحثه عن القصيدة أنها فيما أرسله الأندلسيون إلى السلطان العثمانى يطلبون الإغاثة ، وإنما تحدث عن قصائد رثاء أندلسية كثيرة مجهولة ، أو ضائعة ، وأن من بينها واحدة بعث بها المسلمون الذين ظلوا فى إسبانيا بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م إلى السلطان العثمانى **بايزيد الثانى** ، يعرضون فيها وضعهم المحزن . وكانت هذه القصيدة موجودة فى المكتبة الوطنية فى الجزائر ، تحت رقم ١٦٢٠ (781b) ولكنها مع الأسف الشديد ضاعت ، أو سُرقتْ إن شئت ، من المجموع ، ورغم ذلك حاول الدكتور **صوالح** أن يحصل على نسخة منها ، وحصل عليها ناقصة ، واكتفى بهذه الإشارة ، فلم يقل أين حصل عليها ، ولا من قالها ، ولا ماهى طبيعتها ، ولم ينشرها ، ولعله وجد أنها نفس القصيدة التى أوردها **ابن الخطيب** فى كتابه **أزهار الرياض** ، الجزء الأول ص ١٠٩ ، وتوجد أيضا فى مخطوط «**تكميل أزهار الرياض للقنطرى** . أبى عبد الله محمد بن عبد الله ، ص ٤٧ ، ويوجد بالخزانة العامة بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم ٢٨ل . وهى ذات قيمة تاريخية فحسب ، وتعكس المستوى الذى انحدرت إليه اللغة العربية وأدبها بين الموريسكيين حين سقطت دولة الإسلام فى الأندلس . وقد يكون من الخير أن نأتى على مطلعها ليقف القارئ على مستواها :

سلامٌ كريمٌ دائمٌ متجدد أخصّ به مولاى خير الخليفة
سلامٌ على مولاى سلطان مكة وسلطان دار المصطفى خير بقعة

سلام على مولاى من حاز ملكه قبور كرام الرسل فى أرض أيلة
وحاز بلاد الشام والمسجد الذى به صخرة المعراج أفضل صخرة
سلام على من دارُ مصر مقيله ومسكنه ، أكرم بها من مدينة .

كذلك قد يكون صاحب القصيدة من المرية ، على ماسنعرض له فيما بعد ، ولكن بعيد جداً أن يكون ابن خاتمة ، لأن هذا كان شاعرا مشهوراً ، ووصلنا ديوان شعره بخط يده ، وعرض له عدة من المؤرخين فى عصره ، ولا تتفق روح القصيدة مع مزاجه . وقبل هذا كله فإن الرجل تُوفى عام ٧٧٠ هـ — ١٣٦٩ م ، أى قبل سقوط المرية فى يد المسيحيين بمئة وعشرين عاما كاملة ، ومثلها فى ذلك كل المدن التى وردت فى القصيدة بلا استثناء ، وأما كتابه « مزية المرية » فضائع ، حتى يومنا ، ولم يحدث أن كانت مخطوطته فى الإسكوريال ، ولا أعرف أنه عُثر عليها فى مكان آخر (١) ، ولعل بين علماء المغرب من يعطيها شيئاً من جهده ، فقد يقف عليها فى إحدى المكتبات الخاصة ، لأنها من الأهمية بمكان .

ومهما يكن من أمر فلم يستجب لدعوة العالم المغربى غير المؤرخ الجليل الأستاذ محمد عبد الله عنان ، فتناول القصيدة من الناحية التاريخية ، أحداثها ودلالاتها ، وحاول أن يحدد زمنها ، دون أن يمس الجانب الأدبى منها ، أو يضيف إليها جديدا يعين على تحقيق شخصية قائلها .

● **مخطوطات المرثية :**

توجد هذه المخطوطة فى مكتبة الجزائر الوطنية تحت رقم ١٦٢٧ ، وتتألف من ثمانى ورقات طولها ٢٠ سم ، وعرضها ١٥ سم ، والصفحة الأولى منها

(١) انظر الدراسة القيمة الخاصة بابن خاتمة ، في هذا الكتاب ص ١١١ .

بيضاء ، وبقية الصفحات مكتوبة ، وفى كل صفحه عشرة أبيات ، ماعدا الثانية فتضم تسعة ، والأخيرة وتحتوى على خمسة أبيات فحسب ، أى أن مجموع أبيات القصيدة مئة وأربعة وأربعون ، وكتبت بحبر أسمر اللون، ويصنع من الصوف المحروق والماء ، وخطها مغربى ، وأسماء المدن ، واسم الله والنبى ، والألفاظ الدينية ، وصيغ التعجب مكتوبة بحروف أكبر ، وأضاف الناسخ بحبر أحمر بعض التعليقات المفيدةوالمختصرة ، ولكن التعليقات تطول إلى حدما فى مابين البيت ١٠١ والبيت ١٤٠ ، وجاءت فى شكل سطور منحدرة على الهامش ، منظمة ودقيقة وبروق العينَ منظرُها ، غير أن المعلّق كان يتجاوز الفقرات المجملة ، أوالتى تحتاج إلى تفسير ، فلا يعلّق عليها بشىء .

والمخطوطة ليست أصلا ، ولكنها نُسخت عن أم لانعرف عنها شيئا ، وتاريخ نسخها « يوم الأحد فى العشر الثانى من شهر شعبان سنة ٨٩٧=١٠ يونية ١٤٩٢ م) . ورغم العناية التى بُذلت للمحافظة عليها ، بوضع ورق مشمع بين الصحائف ، ووضعها فى غلاف أخضر من الورق المقوى المغطى بالجلد، فأنها تأثرت بالإرضة على نحو ملحوظ ، فثقبتها فى أكثر من مكان فى الصفحة الواحدة ، ويتسع حجم البعض منها حتى يبلغ فى الصفحة الأولى خمس سنتمترات طولا ، وخمس عشرةمليمتر عرضا . والتلف فى بقية الصفحات أقل عددا وجسامة ، ولكنه مزعج على أية حال ، لأن بعض فقرات القصيدة أوالتعليقات اندثرت تماما ، مخلفة وراءها ثقوبا واسعة . لا يمكن ملء ماضاع معها إلا تخمينا وافتراضا . وثمة أخطاء وهفوات ترجع إلى جهل الناسخ ، وهذه من السهل الوصول إلى حقيقتها .

● أفكار القصيدة:

تدور القصيدة حول محاور خمسة ، تختلف فيما بينها أفكارا ، ومستوى ، وعدد أبيات .

المحور الأول يدور حول بكاء رُندة ، وجاء فى ثلاثة وستين بيتاً . وقد سقطت رندة فى يد النصارى عام ٨٩٠ هـ – ١٤٨٥ م ، ويبدؤها الشاعر متسائلا مذهولا : أحقا إن مدينة رندة المنيعة سقطت فى يد المسيحين ، وغربت عنها شمس الإسلام ، وأظلمت أرجاؤها ، وتزلزلت منازهها وقصورها ، وأزعج عنها أهلها ، وهدّت مبانيها ، وثُلث عروشها ؟ . ويقارن بين ما كان عليه أمرها ، وما انتهى إليه حالها . كانت عُقاباً فهوت ، وعقدا فانتثرت ، ويصف حالها مسلمة موحدة ، وأصبحت فى قبضة النصارى وهى مثلثة ، تعبد فيها التماثيل والصور من دون الله ، وارتفع فيها صوت النواقيس ، ودارت على أهلها صروف الليالى ، فتوزعتهم بين قتيل وأسير . وصور وقع المأساة على القلوب ، وحال الناس لحظة الهزيمة : عويل صارخ ، وبكاء لا يجدى ، ورسم صورة مفصلة لما أجمله فيما سبق ، أطال فيها الحديث وأطنب ، وفصل القول وأسهب ، فالمساجد التى حُولت إلى كنائس صمت فيها نداء المؤذن وأخرس صوت المرتل ، ويشكو محرابها الجوى لمنبرها ، والفتيان الذين قاتلوا فى بطولة ، وكان الموت أحب إليهم من الحياة ، والبنيات الجميلات اللائى انتهى بهن المطاف جوارى ومحظيات فى بيوت الكافرين ، يستغثن ولا مغيث ، ويستجرن ولا مجير ، ونساء عجائز يكابدن الجوع والظمأ ، وشيوخ شاب شيبهم ، وسيدات شابات تمنين الموت قبل أن يشهدن الذل . وأطفال انتزعوا من حجور أمهاتهم ، وأكرهوا على تبديل دينهم ، ويختم قصيدته بأنه كان يتمنى لولم يولد فلا يلفحه حر مصابها ، فلا خير فى عيش أعذب منه الموت ،

ثم يتساءل : أتبعث رندة من جديد ؟ أتعود مسلمة كما كانت ، ويُسمع فيها صوت المؤذن عالياً ؟ . لقد أحدث سقوطها رجة فى بطاح الأندلس ومدنها وثغورها ، ولبس الجميع الحداد عليها ، وأحياؤها تبدى الأسى ، جمادها يبكى لفرط حزته ، ولو كان الفراق يهلك لذابت جبالها ، وغاضت بحارها ، حزناعلى فرقة دينها .

والمحور الثانى يدور حول **رثاء مالقة ومحوها** ، وكانت أهم مدينة بقيت فى أيدى المسلمين ، فى جنوب الأندلس على البحر الأبيض ، والميناء التجارى والحربى الأول لمملكة غرناطة . وسقطت فى يدالنصارى عام ٨٩٢ — ١٤٨٧م ، أى بعد سقوط رندة بعامين ، وبسقوط هذه المدينة الحصينة توالى سقوط المدن والحصون حولها ، فسقطت **الغربية و بلش** عام ٨٩٢ هـ — ١٤٨٧م ، **والمنكب** ، وهى على البحر الأبيض ، وكانت مصيف بنى نصر ملوك غرناطة ، وسقطت عام ٨٩٤ هـ — ١٤٨٩ م ، **ووادى آش** ، وسقطت فى يناير ١٤٩٠ م ، **وبسطة** وسقطت عام ٨٩٥ هـ — ١٤٨٩ م ، وغرناطة وسقطت فى ٢ من يناير عام ١٤٩٢ ، وهى آخر مدينة سقطت ، ومعها سقطت دولة الإسلام فى الأندلس ، ولو أن الشاعر سبق بها ذكرا كلا من بسطة ووادى آش . ويبدأ الشاعر هذه القسم فجأة ، بعد أبيات سبقته تشى بأن القصيدة انتهت ، وعدد أبياته اثنان وعشرون ، عرض فيه لسبع مدن ، من مملكة غرناطة ، خص كل واحدة ببيتين ، وذهبت غرناطة وحدها بعشرة أبيات ، وفى حديثه عن المدن السبع لم يتجاوز بأفكاره أن معانيها أقفرت ، وعاد سكرها علقماً ، وأسكرها الهول . أما غرناطة فهى دار العلى ، وقرار الملك ، والحضرة العليا ، ليس لها مثيل فى العراقين ، ولا فى بلاد الله أجمع ، غلبها الأسى ، فالأمام والمأموم ، والزائر والمقيم ، كلهم فى مأتم ، والناس فى صعقٍ من الهول ، والبنيات بواكى الأعين مذعورات .

والمحور الثالث كان رثاء المرية ، وسقطت كما قلنا قبل عام ٩٨٤هـ — ١٤٨٩ م ، أى قبل سقوط غرناطة بأزيد من عام تقريبا ، والحديث فيها متصل بما قبله لافجوة فيه ، ولو أن الترتيب التاريخى غير مراعى ، ومن الصعب تحديد نهاية الأبيات بها مباشرة ، ويمكن القول أنها شغلت من القصيدة كلها ثمانية عشر بيتا ، وجعل منها خاتمة المطاف ، رغم أنها سقطت قبل مدن أخرى سلفت ، وهولا يريد أن ينساها لأنها موطن آبائه الكرام ، وأول أرض غذاه خيرها ، ويطلب من أصدقائه أن يودعوها ، أو أن يكلوا أمرها لمن يحسن الدفاع عنها ، ثم يحمل الذاهبين إليها تحيته ، وهنا يأخذ فى بيان أسباب النكبة : لقد ضاعت الأمانة ، وأضاع الناس حقوق الرب ، وكان العصيان وراء استيلاء العدو على بلادهم ، فسلب منهم أوطانهم ونفوسهم ، وأصبحت أموالهم فيئا له . ويشير إلى أن استيلاء العدو عليها كان بلاثمن ، لم يأخذها فى حرب ، ولم يقدم لها تضحيات ، وإنما هبط عليهم فى أعداد كثيرة ، كموج البحر لا تنتهى ، نذرت قتال المسلمين ووفت بنذرها ، وأن ماوقع للمسلمين كان نتيجة لمقدمات وقعت ، ولن تتغير الأولى إلا إذا تغيرت الثانية .

والمحور الرابع يدور حول استنفار المسلمين فى الأندلس وخارجها لإنقاذها ، وجاء فى ستة وعشرين بيتا ، ويبدؤها بدعوة أهل الدين أن يهبوا ، لأن الدين هُد من ركنه ، وزُعزع من أكنافه ، ودبت الأفاعى إلى كل مؤمن ، وغصّت أكباد كل تقى ، وينادى المسلمين عربا وعجما ، يستنفرهم للجهاد ، فهو فرض ، ويهيب بهم أن يرجعوا إلى الدين ، وأن يتوبوا ويصدقوا ويصبروا ويردوا الظلامات ، وأن يطهروا نفوسهم ويستعدوا ليوم اللقاء ، أسودا على خيل ضامرة ، يرعب الأعداء زئيرها ، شجعانا يودون لقاء الله تحت ظلال السيوف ، وأن يضربوا كالهام ، ويطعنوا فى المهج ، ويؤكد على أن الله لن يخذل أمة تدين بالحق ، ثم يحذر : أما إذا لم تفعلوا فترقبوا سخط الله ، وأياما تفيض

بالذلة والفرقة واهتضام الحقوق ، وحينئذ يأخذ المشركون كرائمهم وخير أموالهم ، ومعها لا خير فى العيش ، وقد مر أطيبه ، وبقى أمره وأسوأه ، ويومها لا يبقى أمامهم إلا أن يمدوا أكف الذل خائفين ومرعوبين ، وإذا لم يُقلْ رب العباد عثارهم ، فهذا العدو الضخم سوف يأتى عليهم .

والمحور الخامس والأخير : **دعاء** ، وجاء فى خمسة عشر بيتاً ، توجه فيها إلى رب العالمين ، يطلب غوثه ، ويستشفع برسوله ، ويصلى على المختار من آل هاشم ، ويطلب عونه وعفوه وتأييده ، وأن يرسُل على العدو الرزايا ، وأن يشتت شمل الكفرة ، ويختمها بالصلاة على خير البرية وصحبه .

● من صاحب القصيدة ؟

والبحث عنه هنا لا يعنى ذكر اسمه ، فذلك لا يتأتى إلا إذا ذكره التاريخ صراحة وهو مالم يفعله ، أو أشار المؤرخون إلى مايعين عليه وهو مانفتقده ، لأن هذه القصيدة لم ترد ، فيما أعلم ، حتى هذه اللحظة فى غير مخطوطة الجزائر ، والفترة كلها لم تجد مؤرخا يدون أحداثها بعد وفاة **لسان الدين بن الخطيب** ، وسبقت الأحداث بمئة عام تقريبا ، إذا استثنينا فقرات تجئ هنا أو هناك ، من كتب ضاعت ، أووثائق سياسية لم تظهر ، وكلها تتصل بالتاريخ السياسى ، وما نهدف إليه هوتحديد هويته وموطنه عن طريق تحليل القصيدة ، وفى هدى من أبياتها .

أول مايرد فى الخاطر : هل القصيدة لشاعر واحد أو لجملة من الشعراء ؟ لاشىء يحول تاريخاً دون أن يكون واحداً ، لأن الفارق بين سقوط **رندة** أول مدينة ذكرها ، وغرناطة آخر مدينة استسلمت ، لا يتجاوز سبعة أعوام . ولكن من جانب آخر يدرك المرء للوهلة الأولى أن القصيدة ليست بمستوى واحد فنيا وحرارة عاطفة ، فالقسم الأول الذى بكى فيه رندة جيد متسق ،

وتعكس أبياته حزن مكلوم حقا ، وجاء أطول أقسام القصيدة ، ويأتى بعده ودونه مرتبة وعدد أبيات ، القسم الذى رثا فيه مدينة المرية . وأما الأبيات التى بكى فيها مالقة وماحولها ، وغرناطة وأقسامها فباردة فاترة . والشاعر فيها عجل يريد أن يخلص من واجب إلى غاية ، فهو يسجل سقوط هذه المدن عجلا لينتهى منها إلى غيرها ، ولذلك جاءت رغم كثرة المدن التى تعرضت لسقوطها أقل الأقسام أبياتا ، وفيما يبدو جاء بها ليصل مابين شعره فى سقوط رندة وحديثه عن المرية ، وبكاء هذه الأخيرة أجود مما سبقه ، ولكنه دون الشعر الذى أنشده فى رندة . ثم حاول أن يرتفع بإيقاعه شيئا وهو يستنفر المسلمين للجهاد ، ولكنه لم يبلغ من الجودة مابلغه فى أول القصيدة وإن تجاوز الثانى وكان فى مستوى القسم الثالث ، ومع الأخير منها يلوذ بدعوات عادية ليس فيها من الشعر إلا أنها جاءت فى أوزانه وقوافيه .

ورغم هذه التفاوت بين انفعال وآخر فى أجزاء القصيدة ، فإن قائلها واحد ، فيما أرى ، وأرجح ظنا يقرب من اليقين أنه من المرية . يذكر ذلك صراحة فى القسم الذى أوقفه عليها :

فيا أصدقائى ودّعوها كريمة أو استودعوها من إليه أمورها
منازل آبائى الكرام ومنشئ وأول أوطانٍ غذانىَ خيرها
واقرؤا عليها من سلامى تحية يجدّدها آصالها وبكورهـــا

نعم إن ناسخ القصيدة ، وكان معاصرا للشاعر ولأحداثها ، علق على هامش هذه الأبيات عند كلمة «أو استودعوها» قائلا إن الشاعر يشير إلى مدينة الغربية ، وهو لا يتأتى ، لأن الضمير نحويا يجب أن يعود على أقرب مذكور ، إلا لقرينة ملزمة ، وبين هذا الضمير والغربية أورد أسماء مدن أخرى مثل : المنكب ، والإقليم ، وغرناطة ، ووادى آش ، وبسطة ، ثم المرية أخيراً فلا يمكن أن نتجاوز به هذه الأخيرة ، ونرده إلى مدينة سبقتها بغير مبرر

منطق ، أوشاهد تاريخى ، وبخاصة أن لغة الشاعر سليمة ، وجريه على سنن الإعراب مستقيم .

فالشاعر من المرية إذن ، ولكنه قال القصيدة قبل سقوطها بأعوام ؛ قالها حين سقطت رندة ، وأثاره أن يستولى النصارى على هذا المعقل الحصين من معاقل الإسلام ، يقوم على قمة جبل الوصول إليه سلماً مشكلة وعسير ، وربما رأى فى ضياعها ، رغم صفاتها هذه ، تذيرشؤم ، وبداية هزائم لاتتوقف ، وكان هذا ماحدث فعلا ، ولذلك جاء حديثه عنها حديث مذهول غير مصدق ، وربما كان من دوافعها صدى قصيدة **أبى البقاء الرندى** . وهو من المدينة نفسها ، وقالها قبل ذلك بأكثر من مئة عام ، وجاءت قصيدته مثيرة ، وتعبر عن انفعال صادق ، وأخذت مكانها اللائق بها من ذواكر الناس ، وربما من حلقات الدرس ، غير أن هذا لا يمنع أن الشاعر تردد طلبا للعلم ، أو استجابة لدواعى العيش ، على أكثر من مدينة فى هذا الجانب من الأندلس ومدنه متقاربة ، وجعلت منها الأخطار المحيطة وحدة ، وأكدت المآسى صلات الود والقربى بين الناس فيها .

وقال الشاعر قصيدته ، فيما أرجح ، بعد سقوط رندة مباشرة ، وكانت وقفاً عليها فى البدء ، وجاءت متميزة فى نطاق الكل الذى وصلنا ، ويحس المرء أن قائلها إنسان قهرته الهزيمة ، لكنها لم تقض عليه لأنه خارج دائرة الخطر المباشر ، وغلبه التشاؤم ولكنه لم يذهب بإيمانه ولا أضاع أمله ، وأن فيه بقية من رمق ، ويعمل جاهدا على إثارة العزائم ولنهاض الهمم . ولهذا سلمت هذه الأبيات بناء ولغة ، وارتقت تعبيرا وصورا ، وجاءت أصيلة فى الجانب الأكبر من أفكارها ، لاتقع فيها إلا على قليل من أفكار وأثر الذين سبقوه .

ولكن الهزائم توالت ، وسقطت مدن أخرى ، وسقطت **المرية** نفسها ، مسقط رأسه . ومنـــازل آبائه عـــلى حد تعبيره ، سقطت بعد **رندة** بأربع

سنين وخمسة شهور ، ويبدو أن الشاعر فرقها إلى العاصمة غرناطة فرارا ، تركها بعدأن سقطت فعلا ، وذلك يعنى أنه لم يكن نكرة فى مجال الحياة العامة ، لأن غمار الناس أشد التصاقا بمواطنهم ، ويواجهون الأحداث فى أماكنهم عادة ، لايفكرون فى الهجرة اختيارا ، و يستطيعونها لو أرادوا ، وليس لديهم مايخشون ضياعه خارج حياتهم ، وهى مهددة على الدوام ، إن لم يكن بالموت قتلا فى ساحة اللقاء ، فبالموت جوعا أو مرضا تحت ضغط الفقر والحاجة ، والحرب لاتجىء وحدها ، وإنما تأتى معها ، وتخلفها ، على نطاق واسع شتى الأوبئه مادية ومعنوية على السواء .

متى قال الشاعر بقية القصيدة ؟ أظنه قالها فى غرناطة، بعد أن استقر فيها لا جئا ، ولكن غرناطة مالبثت أن لحقت ببقية المدن التى حولها . وبين سقوطها كلها وسقوط المرية عامان فحسب ، فعاد إلى قصيدته عن ندة يريد أن يكملها ببكاء المرية مدينته ، ولكنه رأى مجاملة ، أوفنا ، أواحتراما للتاريخ ، أن يشير إلى بقية المدن الأخرى ، وهكذا نفاجأ به يتحدث عن مالقة دون تمهيد ، وبعد أبيات سبقتها توحى أنها نهاية قصيدة، ويستعرض فى الأبيات الجديدة موجزاً أحوالها ، وأحوال المدن التى حولها، ثم يعرض لغرناطة ومايصاقبها فى أبيات قليلة ، باستثناء العاصمة وكان حظها من الأبيات أوفر ، على نحو ما أشرنا. وحين بدأ يتحدث عن المرية مدينته ، كان متعب الروح ، مستنفد القوى ، رغم كل دواعى الإثارة ، فارتفع بأبياتها عما سبق ، ولكنه لم يبلغ بها بياته الأولى فى رندة ، ، وسرعان مانجاوزها داعيا إلى الجهاد، ولم يصبر عليه ، فانحدر إلى الجانب السلبى يدعو ويصلى وينتظر قضاء الله .

يمكن إذن أن نقول إن الشاعر بدأ قصيدته بعد سقوط رندة ،وأنه أكملها عام ١٤٩٢ م ، فى تاريخ يمكن تحديده بدقة ، لأن مخطوطة الجزائر تحمل تاريخ نسخها ، على ماأشرنا ، وهو يوم الأحد ، العشر الثانى من شعبان

٨٩٧هـ (= ١٠ من يونية ١٤٩٢ م) ، وغرناطة ، وعرض الشاعر لسقوطها ، وخصها بعشرة أبيات ، سقطت فى اليوم الثانى من ربيع الأول ٨٩٧ = ٢ من يناير ١٤٩٢ . وبين هذين التاريخين يكون الشاعر قد أكمل قصيدته ، ومع النص الصريح يصبح استنتاج الأستاذ محمد عبد الله عنان ، وهو قريب من الدقة ، فى أنها كُتبت حول عام ٩٠٤ أو ٩٠٥ غير ذى أساس. ومع أن الناسخ لم يشر إلى المكان الذى نسخ فيه القصيدة ، يبدو لى أنها نسخت فى غرناطة نفسها ، وأن أحد الموريسكيين الذين طردوا من الأندلس كرها عام ١٦١٣ ، أو الذين هاجروا قبلهم اختيارا ، حملها معه إلى الجزائر ، وقد استقر هؤلاء الموريسكيون المطرودون على امتداد ساحل شمال أفريقيا كله ، فى المغرب والجزائر وتونس ، ومن يدرى فلعل آخرين حملوها معهم أيضا ، ولعلنا بشىء من البحث فى المخطوطات المسجاة فى المكتبات العامة والخاصة تنتظر الباحث والدارس ، يمكن أن نجد منها صورة أخرى ، أو مايلقى على ما معنا شيئاً من الضوء .

● **ملاحظات عامة :**

يبدو الشاعر متمكنا من اللغة العربية ، وإذا كانت معانى بعض الأبيات غامضة ، فلأننا نعتمد فى نشرها على مخطوطة وحيدة ، بعض ألفاظها غير واضح ، وعبثت الإرضة ببعضها الآخر ، ونعتمد فى الاهتداء إليها على التخمين ، واختيار اللفظ الأقرب إلى الصورة المكتوبة ، دون أن نعطى أنفسنا حرية التغيير والتبديل ، وهى تجىء فى مستوى أرقى الشعر الذى نعرفه عن هذه الفترة ، وما سبقها بقليل ، عند أبى البقاء الرندى ، وابن خاتمة ، وابن الخطيب وابن زمرك ، ولا نعرف شاعراً أندلسيا آخر معاصراً له كان فى مستواه .

وهو رجل مثقف ، ولا يبدو عليه أنه فقيه ، أى لم يتخذ هذا المجال حرفة له ، لأن الفقه كثقافة عامة كان مشتركاً بين الناس جميعاً ، لأن الدين الحياة

نفسها فى تلك العصور ، فهو لا يقف طويلا عند الصور المكرورة التى نألفها فى قصائد الشعراء الفقهاء ، وفى بكائه لرندة لا يرد هزيمتها إلى الفسق ومعصية الله ، رغم أنه أعطانا صورة منفصلة لما انتهى إليه حالها . ولم يحاول أن يبرر هذا السقوط على نحو ما فعل الآخرون ، ولم يرده إلى القضاء والقدر أو تقلب الأيام ، ولم يتأس بما حدث للأخرين من قبل ، لأن الناس قد يجدون فى هذا مندوحة للتواكل والاستسلام .

وفى نهاية القصيدة حين استنفر المسلمين للجهاد رسم صورة دقيقة للعلاج ، وهو العودة عملياً وباخلاص للتعاليم الإلهية ، فيحض أخوانه فى الدين ينصحهم ويبصرهم بما يجب عليهم أن يقوموا به من التوبة . وتطهير الأرواح ، والبعد عن المظالم ، وإصلاح الاقتصاد ، والقتال العنيد .

ويعرف داخل كنائس المسيحيين جيداً ، حيث تماثيل القديسين ، وصور العذراء ، ويلم بشىء من طقوسهم . فأمام هذه التماثيل والصور يركعون ويسجدون ، ويدعون ويطلبون .

ونلحظ أنه بدأ قصيدته مباشرة ، دون مقدمة من أى لون ، وهو فى هذا نسيج وحده ، لأن القصائد التى سبقته مهدت لموضوعها بأبيات تقصر أو تطول ، ولكن بعض الأفكار مشتركة بينها كلها ، لأنها حدثت فى كل المدن التى وقعت فى يد النصارى تقريباً ، كتحويل المساجد إلى كنائس ، واسترقاق الفتيات الجميلات ، والتفرقة بين الأمهات والولدان ، ولكن تناول الشاعر المجهول مختلف عن تناول سابقيه .

نص المرثية

● **بكاء رندة :**

أحقاً خبا من جوِّ رندةَ نورها ... وقد كسفتْ بعد الشموس بدورُها
وقد أظلمتْ أرجاؤها وتزلزلتْ ... منازلُها ذاتِ العلا وقصورها
أحقا خليليَّ أن رندة أقفرتْ ... وأزعج عنها أهلُها وعشيرها
وهُدّتْ مبانيها وثُلّتْ عروشُها ... ودارتْ على قُطبِ التفرقِ دورها
وكانت عُقاباً لا يُنالُ مطارُها ... ومَعقلُ عزٍ ، زاحمَ النسرَ صُورها
هوت رندةُ الغراءُ ، ثم حصونها ... وأنظارُها شنعاءُ ، عزَّ نظيرها
وقد كنَّ عقدا زيّن القطرُ نظمها ... فقد فتح الآن البلادَ نثيرها
وفرّق شمل المؤمنين لهيبُها ... وقطّع من أرحامهم زمهريرها
تسلّمها حزبُ الصليب وقادها ... وكانت شرودا لا يُقاد نفورها
وقد ذهبتْ أديانها ونفوسها ... وقد دثرتْ تحت السِّباءِ دثورها
فباد بها الإسلام حتى تقطّعتْ ... مناسبُها . واستأصل الحقَّ زورُها
وأصبحتْ الصلبان قد عُبدتْ بها ... تماثيلُها دون الإله وصورُها
لِقرْعِ النواقيس اعتلى بمنارها ... كرائهُ أصواتٍ يروعُ صريرها
فيا ساكني تلك الديارَ كريمةً ... سقى عهدكم مزنٌ بصوب نميرها
أحقاً أخلائي القضاءُ أبادكم ... ودارت عليكم بالصروف دهورُها
فقتلٌ وأسْرٌ لا يُفادى وفرقةٌ ... لدى عرصاتِ الحشرِ يأتي سفيرها
لعمرِ الهدى ما بالحشا لفراقكم ... سوى حُرَقٍ سُحْمٍ تلظّى سعيرها
ولوعةُ ثُكْلٍ ليس يذهب رَوْعُها ... ولا تنقضي أشجانُها وزفيرُها
ونفسٌ على هذا المصاب حزينةٌ ... يذوبُ كما ذابَ الرصاصُ صبورها

وقلبٌ صديعٌ ماج فيه بلاؤه ... سويداؤه سوداءُ جمٌ ثبورُها
سأبكي وما يجدى على الفائت البكى ... بعبرةِ حزنٍ ليس يرقا عبيرها
شآبيبُ دمعٍ بالدماءِ مشوبةٌ ... يساجلُ قطرَ الغادياتِ دُرورها
وعويلا يوافي المشرقين بريحه ... وثُكْلا بأقمارٍ قد اطفئ نورها
فواحسرتا كم من مساجدَ حُولتْ ... وكانت إلى البيتِ الحرام شطورها
ووأسفا كم من صوامعَ أوحشت ... وقد كان معتادُ الأذان يزورهـا
محرابُها يشكو لمنبرها الجوى ... وآياتُها تشكو الفراقَ وسورُها
وكم من لسانٍ كان فيها مرتِّلٌ ... وَحفلٍ بختم الذكْر تمضى شهورها
وكم من فتى ثبتِ الجنان مهذبٍ ... يودُّ المنايا وهو كان يديرها
يصول على الأبطالِ صولةَ ضيغمٍ ... فيرهبه شبلُ الشرى وهصورُها
له في سبيل الله خيرُ نقيبة ... تُزان له عينُ الجنان وحورُها
له في جناب الكفرِ أجدى نكايةً ... وشعواءُ غاراتٍ يُثاب مغيرُها
يُراع له دينُ الصليبِ وحزبُه ... ويُجزَى بها غنصالها ورميرُها(١)
وكم أنفسٍ كانت لديه أسيرةٌ ... فأضحى لعمرُ اللهِ وهو أسيرها
تحكمَ فيه الشركُ وهو موحدٌ ... كما قد قضى جبارُها ونذيرها
وكم طفلةٍ حسناءَ فيها مصونةٌ ... إذا سفرتْ يُسبى العقول سفورها
تميل كغصن البان مالت به الصَّبا ... وقد زانها ديباجُها وحريرُهـا
فأضحتْ بأيدى الكافرين رهينة ... وقد هُتكتْ بالرغم منها ستورها
وقد لطمت — واحر قلبى —! خدودها ... وقد أسبلتْ — والدمعَ عينى — شعورها
وإن تستغثْ بالله والدين لا تُغثْ ... وإن تستجرْ ذا رحمةٍ لا يُجيرها
وقد حيل ما بين الشقيق وبينها ... وأسلمها آباؤها وعشيرُهـا

---

(١) رميرز Ramero وغنصالب Gonzalvo من الأسماء الاسبانية في الصورة التي كان ينطقها العرب ، وبها كان يسمى عدد من ملوكهم وقوادهم .

وكم من عجوز يحرّم الماءَ ظمؤُها ... على الذلّ يُطوى لَبْثُها ومسيرها
وشيخٍ على الإسلامِ شابتْ شيوبُه ... يمزّق من بعد الوقارِ قتيرها
وكم فيهمُ من مُهجة ذاتِ ضجّة ... تود لو انضمت عليها قبورها
لها روعةٌ من وَقْعةِ البين ، دائمٌ ... أساها ، وعين لا يكفُّ هديرها
وكم من صغيرٍ حيزَ من حجْرِ أمّه ... فأكبادُها حرّاءُ ، لفْحٌ هجيرُها
وكم من صغير بدّل الدهرُ دينه ... وهل يَتْبع الشيطانَ إلا صغيرُها
وكم من شقى يسّرتْ هذه له ... سبيلا إلى العسرى يحيفُ كفورُها
كروبٌ وأحزانٌ يلينُ لها الصفا ... عواقبُها محذورةٌ وشرورهـا
فيا فرْحةَ القلب الذى عاش بعدها ... وبالعمى عين رآها بصيرهـا
وياغُربةَ الإسلام بين خلالها ... وياعثرةً أنى يُقال عثورُها
وياليت أمى لم تلدنى وليتنى ... باليتُ ولم يلفح فؤادى حرورها
وما خيرُ عيشٍ يعذبُ الموت دونه ... ويغبط قلَّ الأهلِ فيه كثيرُها
فياليتَ شعرى بعد ماصح موتها ... أيرجى على رغم العداةِ نشورُها
ويامِلّة الإسلامِ هل لك عودةٌ ... لأرجائها يشفى الصدور صدورُها
وهل تسمع الآذان صوت الأذان فى ... معالمها تعلو بذاك عقيرهـا
وبالعزاء المؤمنين لفاقـة ... على الرغم ، أغنى من لديها فقيرُها
لأندلسَ ارتجّتْ لها وتضعضعتْ ... وحقَّ لديها محوُها ودثورهـا
منازلُها مصدورة وبطاحهـا ... مدائنها موتورة وثغورهـا
تهائمها مفجوعة ونجودهـا ... وأحجارها مصدوعةٌ وثغورُها
وقد لبستْ ثوبَ الحداد ومزقّتْ ... ملابس حُسْنٍ كان يزهو حبورُها
فأحياؤها تبدى الأسى وجمادُها ... يكاد لفرط الحزن يبدو ضميرها
لو أن ذا إلْف من البين هالكٌ ... لذابت رواسيها وغاضت بحورُها
على فُرقةِ الدين الذى جاء ها به ... بشير الأنام المصطفى ونذيرهـا

● رثاء مالقة وما حولها :

مالقةُ الحسناءُ ثكلى أسيفةٌ ... قد استُفرغتْ ذبحا وقتلا حُجورُها
وُجرَّت نواصيها وشُلَّت يمينها ... ويُدَّل بالويلِ المبين سرورها
وقد كانت الغربيةُ الجنَّ التى ... تقيها فأضحى جنة الحرب سورها
وبالشُ قُطَّتْ رجلُها بيمينها ... ومن سريان الداء بان قطورُها
وضحَّت على تلك الثنيات حجرها ... فأقفر مغناها وطاشتْ حجورها
وبالله إن جئتَ المنكَّبَ فاعتبر ... فقد خفَّ ناديها وجف نضيرُها
وسكُّرها قد بدَّل اليومَ علقماً ... لها رجَّةٌ ، نار الهيام تثيرهـــا
وعَرِّجْ على الإقليم فاباك ربوعَها ... بسُحْبٍ يضاهى المعصرات خريرُها
وودع بها وفدَ النعيم فإنهـــا ... لها أدمعٌ ، فيْنُ الدموعِ يميرُها

● بكاء غرناطة وماحولها :

ألا ولتقفْ ركبُ الأسى بمعالمٍ ... قد ارتج باديها وضج حضورُهـــا
بدارِ العلى حيث الصفاتُ كأنها ... من الخلدِ والمأوى غدتْ تستطيرُها
محلُّ قرارِ الملكِ غرناطةُ التى ... هى الحضرة العليا زهتها زهورُها
لها فى العراقين العتيقين مثلهـــا ... ولا فى بلاد الله طُرا نظيرُها
تُرى الأسى أعلامُها وهى خُشَّعٌ ... ومنبرُها مستعبرٌ وسريرهـــا
ومأمومُها ساهى الحجى وإمامها ... وزائرها فى مأتمٍ ومزورهـــا
لها حالُ نفسٍ قد أصيب فؤادها ... وبتَّتْ لها اليمنى وحم تبورها
فأنفسها فى الصعْقِ دون إفاقةٍ ... كنفس كليم الله إذْ دُكَّ طورُها
وقد ذُعرتْ تلك البنياتُ حولهـــا ... فهن بواكى الأعين الرمْدِ مورُها
وقد رجفتْ وادى الأشى فبقاعُها ... سكارى وماانستاكتْ بخمرٍ ثغورُها

وبسطة ذات البسط ماشعرت لما ... دهاها ، وأنى يستقيم شُعورُها
على عظم بلواها وطول وَبالهــــا ... وما كابدتْ من ذا المصاب نحورها

٥ رثاء ألمرية :

وما أنس لا أنس ألمرية إنهــا ... قتيلةُ أوجالٍ أزُيل ِعذارهـــا
فلو أحرق الثكلُ المصابين أصبحتْ ... تأجّج من حر الوجيف بحورُها
فيا أصدقائى ودّعوها كريمةً ... أو استودعوها مَنْ إليه أمورُها
منازلُ آبائى الكرام ِ ومنشئى ... وأول أوطانٍ غذانىَ خيرُها
واقروْا عليها من سلامى تحيّةً ... تجدّدها آصالهـا وبكورها
أما نا تُها ضاعتْ فضاعتْ رقابها ... لقد عميتْ عينٌ تبد د نورها
أضعنا حقوقَ الرب حتى أضاعنا ... وفُضتْ عرى الإسلام إلا يسيرُها
و ملّتُنا لم نعرف الدهرَ عرفهـــا ... من النُّكْر فانظر كيف كان عريفها
بما قد كسبنا نالنا ما أنالنا ... كذا السيرة السوأى لدى من يسيرها
بشقوتنا الخذلانُ صاحب جمعَنا ... وبؤنا بأحوالٍ ذميمٌ حضورها
بعصياننا استولى علينا عدونا ... وعاثتْ بنا أسدُ العدا ونمورُها
نعم سلبوا أوطاننا ونفوسنا ... وأموالَنا فيئاً أبيحتْ وفورهـا
علوها بلامهارٍ وما غمزتْ لهم ... قناةٌ ولاَ غارت عليهم ذكورها
وقد عوت الإفرنج من كل شاهقٍ ... علينا فوفّت للصليب نذورُها
وقد كشرتْ ذؤبانها وكلابهـــا ... وقد كسرتْ عقبانها ونسورُهـا
وجاءت إلى استئصال شأفة ديننا ... جيوشٌ كموج البحر هبّتْ دبورها
علاماتُ أخذ مالنا قِبلٌ بها ... جناياتُ أخذ قد جناها مثيرها
فلا تنمحى إلاَّ بمحو أصولهـا ... ولا تنجلى حتىّ تحط أصورُهـا

● **استنفار :**

معاشرَ أهل الدين هُبُّوا لصعقةٍ ... وصاعقةٍ وارى الجسومَ ظهورُها
أصابت منارَ الدين فانهد ركنه ... وزعزعَ من أكنافه مستطيرُها
أدارت على غربيه الدهر أكؤسا ... فظاعا بسُكرْ الدهرِ تقضى خمورها
ودبتْ أفاعيها إلى كل مؤمن ... وعضَّ بأكباد التقاةِ عقورُها
أنادى لها عُجمَ الرجالِ وعُرْبها ... نداءَ سراةِ القفرِ إذ ضل عيرُها
وأستنفرُ الأدنى فالادنى فريضةٌ ... علىُ زمرِ الإسلامِ جلَّت أجورُها
على كل محتاجٍ لفضلٍ دفاعها ... فليس يؤدى الفرضَ إلا نفيرُها
ألا وارجعوا ياآل دين محمدٍ ... إلى الله يغفرْ ما اجترحتم غفورها
أنيبوا وتوبوا واصبروا وتصدقوا ... وردوا ظُلامات يبيد نقيرُها
ومن كل ما يُردى النفوس تطهروا ... فليس يُزكِّى النفس إلا طهورها
ألا واستعدوا للجهاد عزائمـــا ... يلوح على ليلِ الوغى مستنيرها
بأسْدٍ على جُردٍ من الخيلِ سُبَّقٍ ... يدعُ الأعادى سبقها وزئيرهـــا
بأنفُس صدقٍ موقنات بأنها ... إلى اللهِ من تحت السيوفِ مصيرُها
ترومُ إلى دار السلامِ عرائســاً ... على الله فى ذاك النعيم مهورُها
وضَرْبٍ كأن الهام تحتَ ظلالها ... حثالةُ نورِ الوردِ ذُرَّ ذرورُها
وطَعْنٍ يرى الخطِّى فى مُهجِ العدا ... كأقلامِ ذات الخط خطَّت سطورُها
يمين هدىً إنْ تتقوا الله تُنصروا ... وتحظوْا بآمالٍ يشوق غريرُها
فلا يخذلِ الربُّ المهيمن أمـــةً ... تدينُ بدينِ الحق وهو نصيرها
وإنْ أنتم لم تفعلوا فترقبوا ... بوادر سُخطٍ ليس يرجى فتورُها
وأيامَ ذل واهتضام وفرقةٍ ... يطاولُ آناء الزمانِ قصيرها
وأهدُوا لدين الشركِ كل خريدةٍ ... خبتها على طولِ الليالى خدورها
وكل نفيسٍ من نفوسٍ كريمةٍ ... وأعلاقِ أموالٍ خطيرٍ خطيرُها

وحق العظيم الشان لاعيش بعدها ... بلايا يمر الطيبات مرورها
فترفع شكواها لعالم سرهـا ... فليس لها فى الخبر إلا خبيرها
تمد أكف الذل فى باب عزه ... بأفئدة خوف الفراق يطيرها
فإن لم يقل رب العباد عثارنـا ... فهذا العدو الضخم حتماً يبيرها

● دعـاء :

إله الورى ، ندعوك ياخير مرتجى ... لكالحة هز الصليب سرورها
وشقت جيوب المؤمنين وأسخنت ... عيونهم والكفر ظل قريرها
وليس لها ياكاشف الكرب ملجأ ... إذا لم يكن منك التلاقى ظهيرها
أغث دعوات المستغيثين إنهم ... ببابك موقوفو الحشاشات بورها
وليس لهم إلا الرسول وسـيلة ... شفيع الورى ، يوم التنادى بشيرها
أمام الهدى ، بحر الندا ، قامع العدا ... وأول رسل الله فضلا أخيرها
محمد المختار من آل هاشم ... سراج السموات العلى ومنيرها
دعوناك ، أملناك ، جئناك خشعا ... بأنفس استولى عليها قصورها
بجاه العظيم الجاه أدرك ذماءنا ... برحمى يحلى المؤمنين شذورها
وعفو وتأييد ونصر مؤزر ... وعزة سلطان يروق طريرها
ولطف وتسديد وجبر لماضى ... يدل به من كل عاد كسيرها
وأرسل على هذا العدو رزية ... يروح ويغدو بالبوار مبيرها
يشتت شمل الكفر تشتيت نقمة ... وينظم شمل المؤمنين حصيرها
وصل على خير البرية أحمـد ... وأكرم من قد أنجبته ظهورها
وأصحابه الشهب الهـداة وآله ... صلاة مع الآناء يزكو عبيرها